الفصل الثاني

شعر الفخر بالقبيلة

- قصيدة الشاعر «أحمد سالم بن السّالك» في الفخر بالقبيلة.

شعـر الفخـر بالقبيلـة

شهدت منطقة جنوب الصحراء (السودان الغربي) حروبًا قبليةً وطائفيةً عديدة، إذ كانت كل قبيلة تنسب نفسها إلى جهة بعينها، حتى نتجت عن تلك الفوارق حروبٌ بين ما يسمى أنصار «الأنصار» و «ابن أمية».

وقبيلة الأنصار ـ التي تضمها الآن جمهورية «مالي» ـ ترجع في نسبها إلى الأنصار الذين ناصروا رسول الله ﷺ في مواجهة الشرك.. وهم لذلك يفتخرون بهذا الانتساب ويقولون الشعر تمجيدًا لأنفسهم؛ حيث يقول شاعرهم:

وأنتم من «أُمَيَّةَ» قد ورثتمْ ونحنُ من «مُعـاذٍ» وارثونـا

يقولون: إنهم من سلالة «معاذ بن جبل» رضي الله عنه، وإن «كناتة» من بني أمية.. وأمام هذه البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فإننا نؤمن بأن الله واحدٌ لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.. وألاّ فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.. فكلكم لآدم؛ وآدم من تراب!

فالتكريم يكون بالإسلام.. ذلك الدين القَيِّم الذي لمجيئه ترك أهالي السودان الغربي الاعتقادَ في ثعابين ووحوش ونار وشمس وقمر وأشجار «كومبي صالح»، واعتنقوا الدين الإسلامي الحنيف الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور*.

لقد أزال الإسلام الفوارق الطبقية منذ وصل «عقبة بن نافع الفهري» بجيشه الفاتح إلى ضفاف نهر «النيجر»؛ وبالتحديد في منطقة محل السوق «كيدال»..

* جلب الدعاةُ والتجارُ الإسلامَ إلى هذه المناطق جنوبي الصحراء؛ في عهد الخليفة الراشد «عثمان بن عفان» رضي الله عنه.

فاختلطت دماء الفاتحين بدماء سكان الصحراء، وحدث تزاوج بينهم أنتج عنصراً عربيـًا جديداً تمثل في قبائل «الفلان».

وقد جاءت تسمية هذه القبائل نسبةً إلى ألفي جندي خَلَّفَهم «عقبة» على ضفاف نهر «النيجر».. فالكلمة (الفلان) تحريف عن «ألفان 2000»؛ وليس كما يدعي اليهود أنهم بقايا «الفلاشه»!

وقد أنجبت الصحراء شعراء تغنوا بأمجاد بلادهم وافتخروا ببطولاتهم. ومن بين هؤلاء الشعراء الذين اختطوا في شعرهم لون الفخر؛ ضيفنا الشاعر «أحمد سالم ابن السالك» من بني الحاج. وشاعرنا من أبناء القرن الثامن عشر الميلادي، ويقطن بعض أفراد قبيلته في صحراء «موريتانيا» في «النعمة» و «ولاته»، والبعض الآخر يسكن في مدينة «كندام» التي تقع إلى الغرب من مدينة «تنبكت» وتبعد عنها بحوالي خمسين كيلو متراً.. في حين تبعد عن قرية «ليره» ـ أو المنطقة الحدودية بين «مالي» و «موريتانيا» ـ بحوالي أربعين كيلو متراً.

وشاعرنا اشتغل مُدَرِّسًا للقرآن الكريم واللغة العربية.. فكان يُدَرِّس طُلاّبَه علم النحو في قلب جامعة الصحراء، وهي عبارة عن «صيحة» بنيت بأوتاد شجر الطَّلْح الثابتة، وضَمَّت أدوات الشاي ـ من الطبل والبراد والمِجْمار والكئوس التي تفوح برائحته الجذابة ــ حين كان المدرس يُدَرِّس المبتدأ والخبر إلخ!

وفيما يلي بعض الأبيات التي اخترناها من قصيدة له؛ بلغ مجمل أبياتها مائتين وتسعة أبيات:

أم هل صرفتُ إلى السلامة همّتي ... أم سرتُ عن شمس الوغى إظلالها[1]
أم هل عدلتُ إلى الغنائم في الوَغَى ... عز وهجها أم حِرْتُ عن أهوالها[2]
أم هل عففتُ وكان ذاك سجيتي ... عند النهاب حرامها وحلالها
وعصابة تغشى الخنا عَنَّفْتُها ... وزجرتُها عن غيّها وضلالها
وكتائب شعث عوابسَ بُسَّلِ ... ألبستُها بكتائب أمثالها[3]
ولكم وَصَوْدَتِ الخيل عن أهوائها ... ودماؤهن تفور من أكفالها[4]
وطعنت فارسَها المدجج طعنةً ... صاحت حلائلُه لوِسْعِ مجالها[5]
وتركت آخر بعده متجندلاً ... تمكو فرائصه لهتك وصالها[6]
وفتحت ثالثهُ المنازل ضربةً ... أوصت حليلته بشدّ خلالها[7]
والحرب تعلم والمشاهدُ أنني ... مُرْدِي فوارسها قريعُ نزالها[8]
ولكم غدوتُ أمام قومي غازيًا ... نحو العدا متهيئًا لقتالها[9]
ولقد نثرتُ كنانتي وبلوتُها ... ورميتهمُ منها بصلبِ نبالها[10]

(1) إظلالها: مجرورة بـ «إلى» المحذوفة.
(2) الوهج : لهيب النار. وحرت: بمعنى تحولت عنها إلى مكان آخر.
(3) الكتائب : جمع كتيبة؛ وهي نوع من التنظيم العسكري. وشعث : جمع أشعث، أي المغبر الرأس الذي يظهر عليه عناء السفر. والعوابس: جمع عابس؛ وهو القطوب.. يقولون إنسان عبوس وقطوب الجبين.
(4) تفور من أكفالها : تجري في أعجازها، وهو تعبير عن شدة المعركة.
(5) يفتخر شاعرنا بأنه سدد ضربة قاضية إلى فارسهم الذي يحمل أسلحة متعددة كالرمح والسيف والخنجر؛ حتى استطاع بشجاعته أن يقضي عليه بضربة واحدة جعلت زوجته تندبه وتبكيه لتحمّله تلك الطعنة التي لاعلاج لها إلا الموت المحقق.
(6) متجندلا : ساقطا صريعا من الضربة. وتمكو: تَصْفَرّ. والفريصة: كُرَيَّة بين الكتف والضلوع.
(7) الخلال: ما تستخدمه نساء الصحراء ليُخَلَّ به الثوب. وهو يصنع من العيدان أو الحديد أو الذهب، ويعتبر جزءا من الأدوات التي تتزين بها المرأة الصحراوية؛ بل تشترطه العروس عند زواجها. يقول: ضربته ضربة أوصت زوجته بشد الخلال من شدة هول الضربة؛ حتى إنها أوصت من بجانبها أن يشد رواءها بالخلال لأنها قد تفقد أعصابها حزنا على زوجها.
(8) يفتخر الشاعر ببطولته؛ حتى أن الوغى تعرفه جيدا بالإقدام ومقارعة الأبطال ومنازلتهم والانتصار عليهم.
(9) أمام قومي؛ لقد أصبحت القائد الذي يتقدم صفوف الجيش لغزو الأعداء بكامل استعدادي.
(10) نثرت كنانتي : الكنانة ما يجعل فيه السهام، وهو الجعب.. يقول: استخرجت ما فيها من السهام. وبلوتها: اختبرتها. والنبال : جمع نبل، وهو السهم.

سمر السهام مراشة أغراضها ... لبب الأعادي عرضةٌ لنصالها[1]
شعث على خُوص حنايا ضُمَّر ... مثل القسي قلاصها وجمالها[2]
يطوي المهامه نصُّها وذميلُها ... ودُؤوب مُرقلها على إرقالها[3]
تفرى بهم وعر الجبال كأنها ... وسط الجبال تجوب وعث رمالها[4]
ولدي الرمال كأنها بصحاصح ... ولدى الصحاصح كالنَّعام ورالها[5]
بُسَّلٌ مَساعر للحروب عوابس ... صبرٌ على محن الوغى ومحالها[6]

(1) السمر : التي تضرب حمرتها إلى السواد. مراشة : جعل لها ريشًا، فالسهم الفتاك الذي تكون ضربته قاتلة هوما يكون مقدمه على شكل إشارة زائدة؛ فعندما يدخل في جسم الإنسان يكون من الصعب إخراجه. والأغراض: بمعنى الأصداف. واللبب : جمع لبت؛ وهي النحر. والنصال : جمع نصل.

(2) شعث: جمع أشعث؛ وهو الذي يظهر عليه عناء السفر. والخوص : الغائرة الأعين من طول السفر. والحنايا : جمع حنية؛ وهي التي انحنت من قسوة السفر. والضمر: جمع ضمائر؛ وهو البعير الذي قطع مسافات طوالاً؛ فيقال له ضامر. . ويقول رب العزة: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج/ 27). والقلاص : جمع قلوص وهو الفتى من الإبل. يقول: تلك السهام الصلب التي رميت بها العدو؛ وهم رجال شعث على خوص قد أهزلها السفر، وفي هذا البيت افتخار بالرجال الأشداء الذين يتحملون قطع المسافات الطوال دون كلل ولا ملل في سبيل تحقيق أهدافهم المرجوة منهم.

(3) المهامه: المفاوز. والنص والذميل: نوعان من سير الابل. والإرقال: الإسراع. والدؤوب : الجد والمثابرة. وهنا الشاعر وكأنه يقول: لقد اخترنا لهذا اللقاء نوعا من الإبل تمتاز عن غيرها في سرعتها ولربما قصد بذلك ما يعرف بالمهري، وهو صنف من أصناف الإبل، يمتاز بالسرعة الفائقة. والمهري أنواع؛ منه من يقطع أكثر من ذلك بكثير. وقصة تفاوت قطع المسافات كنت قد سمعتها عن والدي ــ رحمه الله ـ منذ كنت طفلا، ووالدي من عشاق الفروسية، فكان يقص لي عن الفروسية وصفات الفارس والخيل وأنواعها وأماراتها إلخ. ومن بين قصصه التي مازالت عالقة في مخيلتي إلى اليوم؛ أنواع من المهارة. . وهى فصيلة من فصائل الإبل. وتتفاوت سرعة المهري من واحد إلى آخر، فالمهري الذي يولد ويبقى ماكثًا على الأرض يومان أفضل من الذي يمكث في الأرض يوما، ومن يمكث أربعة أيام أفضل من الذي يمكث ثلاثة. وهكذا. . فكل من بقي فترة على الأرض بعد ولادته أفضل من غيره الذي يقوم في حينه. وأكثر من يعرف هذه المسألة سكان الصحراء؛ وخاصة التوارق.

(5,4) تفري : تشق. والوعر: المكان الصلب؛ أي الصعب اختراقه. والوعث : ضده. والصحاصح : جمع صحصح، والصحصح المستوي من الأرض. وتجوب : تقطع. والرال : ولد النعام. يقول: تشق بهم وعر الجبال فكأنها حينئذ تجري في الرمال. وكأنه يقول إن خيلهم قادرة على شق الجبال الصعبة والرمال العاتية، وشبهها بفراخ النعام في سرعة عدوها، فشاعر الصحراء يلتقط كلماته من الطبيعة المحيطة به.

(6) مساعر للحروب : جمع مسعر؛ وهو الموقد. كأن الحرب توقد.

ثاروا لأخذ الثأر حين ندبتُهم ... مثل الأسود عذابها ومحالها[1]
يمشون في سدف الدياجي في ندى ... شبم وصرّ بارد لنضالها[2]
لاينثنون عن الأعادي رهبةً ... حتى تناخ ركابهم بحلالها[3]
جاسوا خلال حلالهم حتى إذا ... لاحت ذكاء على ربى أحوالها[4]
شنوا عليهم غارة شعواءَ ما ... تركوا بها هبَعًا على بهالها[5]
تركوا ديار كناتة منهوجة ... لفرارها عن آلها في آلها[6]
وحماتهم وكماتهم غادرتهم ... جزر السباع جلالها وضئالها[7]
عاثت بهم غلب الضباع وجررت ... أشلاءهم لوجارها وجالها[8]
ظلت تهادى الخامعاتُ لحومهم ... تمشي جعاربها إلى خزعالها[9]
مانمت عن تأري أميمة في العدا ... حتى شفيت النفس من بلبالها[10]
فسلي كُناتة هل ثأرت بفتيتي ... يوم الوغى منها بخير رجالها
أم هل أبحت حماهم يوم الوغى ... وعركتهم عرك الرحا بثفالها[11]
يوما تصبب بالعبير دماؤهم ... سيلان زق قطعت بحبالها[12]

(1) ثاروا : نهضوا. وندبتهم : استنجدتهم مثل الضرغام. وعذابها ومحالها: بدل اشتمال من الأسود. والمحال: الكيد والمكر والخديعة والجدال والقدرة والقوة والشدة.

(2) السدف : الظلمة. والدياجي: جمع دجية؛ وهي الظلمة. والبيت هنا دليل على الشجاعة والإقدام. والنصال: الترامي بالنبال وغيرها من أدوات الحرب في تلك الفترة.

(3) لا ينثنون: لاينصرفون حتى ينيخوا ركابهم بحلال العدو. والحلال: جمع حلة؛ وهو الحي.

(4) جاسوا : وطئوا بشدة وذكاء.

(5) شنوا عليهم الغارة : صبوها عليهم من كل وجه. وشعواء: قوية.

(6) منهوجة: أي موطئة بالأقدام، لفرارها: يقصد كناتة. عن آلها: عن أملها. في آلها: في سرابها.

(7) وتركت حماتهم وكماتهم جزر السباع. جلالها: أي كبارها. وضئالها: صغارها.

(8) عاثت : أكثرت من الفساد. والأشلاء : الأعضاء؛ جمع شلو. والوجار: سرب الضبع. والجال جيال: وهي الضباع. وكأنه يقول: تركت قبيلته أشلاء أعدائها تنهشها أسراب الضباع في الصحراء.

(9) تهادي : تتهادى. والخامعات : الضباع. والخزعال بالفتح : الضبع.

(10) يقول: ما نامت له عين حتى أخذ بثأره وشفى غليل صدره من أعدائه. والبلبال : البرحاء والهم في الصدر.

(11) عركتهم : طحنتهم. والرحا : الطاحونة، والثفال : ما يفرش لها، والباء بمعنى مع، وهو يصور لنا صورة أعدائه؛ فاستمد من الأدوات التي تستعمل يوميا الصورة البلاغية ليقرب لنا الصورة أكثر.

(12) العبير : أخلاط من الطين أو الزعفران. والزق بالكسر: القربة. وهنا ينقل إلينا ما كانوا عليه أعداءهم من هزيمة؛ حتى إن دماءهم تسيل بقوة وكأنها قرب مملوءة بالماء وتقطعه حبالها فاندفع منها الماء بغزارة وهو تشبيه بليغ مع رصانة في الكلمات.

ظلت تصبب من نجيع سراتهم ... غيطان دور من حمى أقيالها[1]
كم من كمىّ قد تركت مجندلاً ... بخلال عرصتها وبين تلالها[2]
وخريدة حسناء بيضاء غادة ... أبرزتها من خدرها وحجالها[3]
تبكي وتندب بعلها وحميمها ... وتنوح معولة على أشبالها[4]
وقديمة سلب الجلال جمالها ... غادرتها تحنو على أطفالها[5]
تبكي وتسأل عن أخيها وابنها ... حدبًا وتسألُ عن سلالة خالها[6]
ترنو إليّ وتشتكي فيعُمّها ... رفدي قُبيل تمامها لسؤالها[7]
وكريمة تأبى السؤال لفضلها ... ومصابها تشكو إليّ بحالها
ويصونُها عند السؤال لفضلها ... فمنحتها كرمًا كرائم مالها
وحبوتها فضلا بفاخر تالدي ... ونثرت ذخر حقائبي لعيالها[8]
ثم انثنيت وما احتملت مذمة ... وشفيت صادي غلتي بعلالها[9]
وأنا الذي شهدت كناتة بأسه ... وأنا المعد لغيظها ونكالها
كفي وفكي صارمان كلاهُما ... أعددتُه لجلادها وجدالها
مُوتُوا بغيظكم كناتةُ إنني ... أنا ذاكُم مردي العدا بنبالها[10]
فليبكين مع البواكي حاسرّ ... بكاؤهن ويجلسن بخلالها
أو ينفسن كنفسة ونسائهم ... إذ لم ينفسن من عظيم وبالها

(1) النجيع : الدم. والسراة : السادة؛ جمع سرى، والغيطان : جمع غائط؛ وهو المستوي من الأرض. والأقيال: جمع قيل؛ وهو الملك دون الملك أو الملك الأعظم.
(2) الكمى : الشجاع المسلح بالسلاح. ومجندلاً : صريعا. والتلال : جمع تل؛ وهو المكان المرتفع.
(3) يقول : ورُبَّ خريدة حسناء سبيتها وأخرجتها من خدرها وجمالها.
(4) تندب: تبكي وتنوح على بعلها، وحميمها : أي قريبها. معولة : رافعة صوتها بالعويل والنواح. والأشبال : بمعنى أولادها.
(5) القديمة : المرأة المسنة التي خلع عليها الزمن الجمال والحسن التي كانت عليه في صباها. غادرتها : بمعنى تركتها تحنو وتعطف على عيالها.
(6) حدبا : أي شفقة. وتسأل عن أبناء خالها. والحدباء: ما يحمل عليه الجثمان.
(7) يقول: ترنو إليّ وتشتكي حالها فيعمها عطائي قبل أن تكمل سؤالها.
(8) حبوتها : بمعنى أعطيتها. والتليد : التالف؛ التاريخ التليد: المنتهي منذ زمن بعيد.
(9) انثنيت : انصرفت. والغلة : العطش. والعلال : جمع علل؛ وهو الشرب بعد النهل.
(10) مردي للأعداء. والنبال : الهلاك.

لم يغن عن فتيانهم في حربهم شيء ولا فتياتهم ببلالها
ولينزعن عنه القريض فلم ينل بقريضه إلا سماجة قالها

وقال أيضًا:

يا هاجيا هاذيا بالكذب مفتخرا الكذب داج ونور الحق قد ظهرا[1]
ورونق الشعر كذب القول يسلبهُ والصدق أحسن ما فاهت به الشُّعرا[2]
والفخر بالكذب لا يجدي وظلمته من تحتها ضوء صبح الحق قد ظهرا[3]
أتعبت نفسك لاتنطق بما كذبٌ يهجو الكذوب ويمحو الحقُّ ما سطرا[4]
يهجو الكذوب ولاتبدي مقالته إلا الذي من خصال المجد قد سترا[5]
ركبت عريًّا إلى العوراء عيرك إذ عيرت من فرّ منه العارُ واستترا[6]

وقال شاعرنا في قصيدة أخرى :

(1) الهاجي : المهاجي. والهاذي : من الهذيان؛ وهو الذي يكثر من الكلام بدون أفعال. . فالكثير الكلام يقول الحكماء إنه لايشكل خطورة؛ أما الذي يشتغل في صمت فهو الذي يحسب له ألف حساب. وعندنا مثل في ليبيا على من يتكلم بدون فائدة فيقولون: كثير نياح الكلب على روحه (نفسه). والداج : المظلم.

(2) الرونق : الحسن، ويقصد بذلك أن الكذب يسلب جمال الشعر وحسنه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاعر الإسلام زهير بن أبي سلمى : «إنه أشعر الناس لأنه لايمدح أحدًا إلا بما فيه».

(3) لايجدى : ليس له أي فائدة، لأن ما بني على باطل فهو باطل.

(4) بما كذب: أي بما هو كذب، فكذب خبر لمبتدأ محذوف.

(5) يبين هنا أن هجاء الشاعر الذي عرف بقول الكذب لاقيمة لكلامه لأنه لايصدقه الناس. ويشير هنا إلى قول أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

(6) ركبت عريًّا : أي بلا سلاح. والعير بالفتح: الحمار. والعوراء: كلمة لاتقال، فهي تنم عن القبح. وشاعرنا رابع الشعراء الثلاثة الذين يحكي لنا أبو نصر المزربانى أن أحدهم شلشل، والثانى سلسل، والثالث قلقل. . فالذي شلشل هو الأعشى إذ يقول: فقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاد مثل شلول شلشل. والثاني مسلم بن الوليد إذ يقول: سلت وشلت ثم تسل سليلها: فأتى سلسل سليلها مسلولا. والثالث المتنبى إذ يقول:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشاء قلاقل عيس طهن قلاقل

اخسأ فقولك لايصغـــى له أحدٌ ... فالناسُ أجمع عنّا استحسنوا الخبرا[1]

سحقًا لقوم جرى يوما لشاعرهم ... ما للقوانين في سيف الحصان جرى[2]

يسدى القريض وما يجدى القريض لمن ... جنوده في البـرى أضحوا شذرْ مـذرا[3]

تهدى القريض وما تهدى به حسنا ... إذ لو رأيـت لما تهـدى بـه نفـرا

هـــــلا مددتهـمُ بجحفـل لجب ... يضحى به جندك المغلـوب منتصـرا[4]

جهلت قومك فاستسمنت ذو إرم ... خلت السراب شرابا والنوى ثمرا[5]

إن كنت تحسبهم خيلا فصل بهم ... إلـى حمانـا تجدهـم إذًا حمـرا

اربـأ بنفسـك لايغـــررك قولهـم ... وإن تقـل بـاردا أدل يديـك تـرى[6]

ما أنـت أول مغـــرور بكذبهـم ... غروا بـه ناصـرًا فخلفـــوه ورا[7]

دعـوا بنـي ناصـر لنصرهـم فأتـوا ... مبادريـن وعنهـم أزمعـوا ســفرا

دعوا الحرب وحين الحرب بال حما ... رها الدمـاء تولـوا عنهـم زمـرا

عدوا الفـرار فخـارًا والنجـا هربـا ... وما الفرار بـلاق عنهـم القـــدرا

لو كان ينجي الفرار من قضـا لغـدا ... من مات من عطش منهم كمن صدرا

أو كـان ينجـي الفـرار هاربـا لنجـا ... من فر عنه قومـه منهم ومن نفـرا

حب السلامة قد يرنى إلـى عطـب ... والعـــار مـن كـان بالأيـام مستترا

حب السلامة لو ينجـى لكـان نجـا ... من بالبسيقـي بالحفيـر قـد حصـرا[8]

(1) اخسأ: في الأصل زجر للكلب. ولايصغي: لايستمع.

(2) القوانين : قبيلة من الحسانين كانت لها صولات وجولات في ميادين الوغى.

(3) البرى : الأرض. وشذر مذرًا: متفرقين في مختلف الاتجاهات.

(4) الجحفل : الجيش الكثير العدد. واللجب : كثير الأصوات.

(5) استسمنت ذو إرم: مثل اعتقدت المتورم سمينًا. والسراب : ما يتراءى في القيعان عند اشتداد الحر ويحسبه الظمآن ماء. والنوى : عجم التمر.

(6) وإن تقل باردًا: مثل حساني يضرب لمن يستهون الصعب إذ لم يمارسه، فيقال : إن ظننته باردا فاجعل يدك فيه.

(7) ناصر : رجل استنجدوه في إحدى معاركهم فأنجدهم، وحين حميت المعركة فروا عنه وبقى وحده في ميدان القتال يقارع الأعداء وحده.

(8) البسيقي : بئر جرت به معركة بينهم وبين كنت وكان النصر حليف بني الحاج. وقد حفرت كنت حول الحى خندقًا في ذلك اليوم حتى تحمى به مواطنيها ولكن دون جدوى. وحدث ما حدث.

قد عمقوا حفرهم ليسلموا فغدوا ... كالكبش عن حتفه بظلفه حفرا
وما نجوا يوم لكبنيب إذ هربوا ... عشية والسماء أرسلت مطرا[1]
لقد تركناهم صرعى تخالهمُ ... نخلا تراه بمجرى السيل منقعرا[2]
فتلك دورهم بالظلم خاوية ... فأصبحوا لاترى بها لهم أثرا[3]
كم غادة منهم تشوي الجراد لدى ... كنار تسري إلى أوكاره سحرا[4]
وكم بفوتة من ثكلى وأرملة ... وأيم ويتامى عالة فقرا[5]
غذاؤها حمر الغابات تحنذها ... جوعًا وفي الكج تستسقى لها المطرا[6]
إنا بني الحاج أبطال ذوو كرم ... نحن الهداة الكماة السادة الأمرا
مهما نسالمك تعل النجم مبتهجا ... وإن نعادك يوما تُلف منحدرا
أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا ... لم تجد الأمن منا لم تزل حذرا[7]
ومن يُساوِ بنا أعداءنا كرما ... فهل تساوي بخيل سُبق بقرا[8]
من ظن أنا سواءٌ جاهل فلقد ... ساوى بنخل القرى اليتّوع والعشرا[9]
ومن يُساو بنا أعداءنا فلقد ... ساوى بأسد الشّرى الذِّئاب والنمرا[10]
فسل بنا وبهم إن كنت جاهلنا ... والحال أصدق ما استنبأته الخبرا
فهم يعادون أهل الحق عن سفه ... ونحن ننصرُ من للحقِّ قد نصرا
ونحن نزجر للعاصي ونهجرهُ ... وهم يُجلون من بالفسق قد جهرا

(1) لكبنيب : مكان حدثت فيه موقعة بين كنت وخصمها.
(2) منقعرًا : ساقطا مجندلاً.
(3) البيت دليل على سحقهم بالكامل.
(4) كنّار : قبيلة من قبائل الفلان المنتشرة من موريتانيا إلى تشاد، ويبلغ عددهم حوالى 17 مليون نسمة، وترجع أصولهم إلى جيش عقبة بن نافع الفهري.
(5) فوته : هى فوته جالون، وهي سلسلة من الجبال بمنطقة السنغال.
(6) تحنذها : تشويها. والكج : موضع بالسودان الغربي.
(8) الفراء بكسر الفاء: الحمار.
(9) هنا يفتخر بالقبيلة، وجاء بمقارنات وقال: (كيف يساوى الأسد بالذئب) فكأنه يقول شتان مابين الثرى والثريّا.
(10) الشرى : موضع تكثر به الأسود.

يرضون جهل أبي جهل ونخوته ... ويبغضون عليًّا من علا مضرا
وبغض آل النبي المصطفى ورثُوا ... من الوليد ومن يزيد من فجرا
وبغضُ أنصار خير الخلق شيمتهم ... وسم النفاق على أخلاقهم ظهرا
قوم إذا ائتمنوا خانوا وإن حكموا ... جاروا وإن خاصموا ألفيتُهم فُجرا[1]
أو واعدوا أخلفوا أو حدثوا كذبوا ... ومن تقلد عهدًا منهم غدرا[2]
مثل اليهود بقتل الأنبياء هلكوا ... لأنهم قد رضوا بزلة الكبرا[3]
ألا فلا أمةٌ بالذنب قد هلكت ... إلا ويأتون ما أتته مُشتهرا
ثمودُ قد هلكوا عن بغي عاقرهم ... وهُم عتوا وعثوا وكلُّهم عقرا
نهاهُم صالح فخالفوه كما ... نهى ثمود وكانوا معشرا فجرا
وقوم لوط أتوا ما قد أتوا سفها ... وهم يساوون ذات البعل والذّكرا
ويقطعون السبيل أينما سلكوا ... جهرًا ويأتون في ناديهم نكرا
وأهل مدين للمكيال قد نقصُوا ... وكنت قد نقصوا أرزاق كُل ورى
وينقضون عهود الله قاطبة ... وينقضون من الإسلام كل عزى
هذا وفيهم رجال مؤمنون كما ... في آل فرعون من إيمانه سترا

❄ ❄ ❄

(1,2,3) معنى مختصر للأبيات الثلاثة، كأن الشاعر يقول : إنهم مثل اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة بسبب قتلهم الأنبياء، لأنهم قد رضوا بما فعل آباؤهم من تلك الأفعال الخسيسة من غدر وخيانة.. واليهود مجبولون على مثل هذه الأفعال الدنيئة.